مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) ايلول سنة ١٩٢٤ م الموافق صفر سنة ١٣٤٢ ه

الشيخ محمد عيّاد

الطنطاويّ (١)

اذا ذكر علم المشرقيّات وعلماؤه فمن الغبن أن لا يذكر هذا الرجل الفاضل بين خادميه ومفيديه ومن الغبن أن لا نعرف من خبره الاّ تدريسه للعربية بجامعة بتروغراد . وقد نبّهني التنويه به (٢) في مقالة تاريخ علم المشرقيات بروسية المنشورة بالجزء الخامس الى اثبات ما استطعت الوصول اليه من أخباره بعد أن ظللت زمناً أتسقّطها من مختلف المصادر واسأل عنها علماء الأزهر الشريف وغيرهم فلا أستفيد ما فيه غناء . وكنت ارى من لقيتهم من المستشرقين يجهلون من مبدإ حاله مثل ما نجهل نحن من خاتمته ولم يكن ما يعلمونه ونعلمه من الحالين سوى النزر التافه الذي لا يكفي للتعريف به .

(مبدأ حاله ومؤلفاته)

لم أظفر مع كثرة سؤالي عنه بأوفى مما كتبه اليّ اخيراً صديقي الاستاذ الجليل الشيخ عبدالمعطي السقّا أحد علماء الأزهر والمدرّسين فيه مجموعاً مما بلغه عنه واستخلصه من مؤلفاته قال :أعزّه الله :

---

(١) نسبة الى طنطا في لغة العامة وهي طندتا أكبر مدينة بمصر بعد القاهرة والاسكندرية . (٢) ورد اسمه في (ص ٢٠٩) محرّفاً بعياض وصوابه عيّاد بالدال وتشديد الياء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« هو الشيخ محمّد بن سعد الملقّب بعيّاد الطندتائيّ الشافعيّ أحد أفراد الطبقة الأولى الآخذة عن شيخ الاسلام الشيخ ابراهيم البيجوريّ شيخ الجامع الأزهر المتوفّى سنة ١٢٧٦ . كان رحمه الله من أعيان علماء القرن الثالث عشر راسخ القدم في العلوم العقليّة والنقليّة آخذاً بحظّ وافر من الأدب فله كثير من الشعر الحسن والنثر المستحسن وكان المشتغل بالأدب من علماء الأزهر في عهده نزر يسير يعدّ على أصابع اليد كشيخ الاسلام الشيخ حسن العطّار شيخ الجامع الأزهر والشيخ خليل الرجبيّ . وله رحمه الله مؤلّفات كثيرة تنمّ على غزارة مادّة ودقة نظر منها في العقائد حاشية على شرح العلاّمة الكبير برهان الدين أبي المعالي ابراهيم السقّا (١) على منظومة السيد محمّد بُليحة المسمّى ذلك الشرح بالتحفة السنيّة في العقائد السُنيّة يقول في آخرها وحيث طعِمْت من بُليحة وشربت من منهل السقّا فنفكّه بها لأنس نفسك علّك أن ترقى (٢) . ومنها حاشية على رسالة شيخه العلاّمة الشيخ ابراهيم البيجوريّ في العقائد وهي التي يقول فيها مادحاً ومقرّظاً كما وجدته مكتوباً بخطّه تحت طرّتها :

انّ علم الكلام أفضل علم فيه وصف الاله والرسل يُسْرَدْ
فالى هذه الرسالة يمّم فهي حازت لما عليك تأكد

ومنها شرح على منظومة الشيخ السلموني التزم السجع في جميع جمله بقع في نحو كرّاسة .

ومنها حاشية على شرح الشيخ خالد الأزهريّ على متنه المسمّى بالأزهريّة في علم النحو ضمّنها تحقيقات جمّة . ومنها حاشية على متن الزنجانيّ في الصرف المشهور بمتن العزّيّ قال في أوّلها موريّا بالمتن المذكور :

الصرف زين أهله وهو لهم كالكنز
قالوا لما نقرؤه قلت لأجل العزّ ي

وله منظومة في البيان نظم فيها متن السمرقنديّة وشرح « على المنظومة المذكورة

---

(١) توفّي سنة ١٢٩٨ . (٢) عبّر في أوّل هذه الحاشية عن العلاّمة السقّا بقوله « استأذنا الشيخ ابراهيم السقّا » ويظهر منه انه كان من شيوخه الذين اخذ عنهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في كرّاستين لطيفتين . ومنها حاشية جليلة على كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي . وقد قُدّر له رحمه الله الذهاب الى روسية فذهب اليها وأقام بها الى ان جاور ربّه ولم يؤثر ذلك في شيء من دينه وعقيدته كما يؤخذ من قوله في أوّل قطعة شعريّة أرسل بها الى احد اصدقآئه بمصر :

أنا بين قوم لا أدين بدينهم أبداً ولا يتديّنون بديني » . انتهى

(سفره الى روسية)

ليس بيدنا ما يفيد تعيين سنة سفره ولكنّا نستطيع معرفتها بالتقريب من تأليف له وضعه وهو بروسية في العاميّة المصريّة وسمّاه (أحسن النخب في معرفة لسان العرب) وقفنا على نسخة منه مطبوعة في ليبسيك سنة ١٢٦٤ هـ = ١٨٤٨ م ورأينا بطرّته « للشيخ محمّد عيّاد الطنطاوي معلّم العربيّ في مدرسة الألسن الشرقية والمدرسة الكبيرة الامبراطورية ببتربورغ المحميّة » وقد افتتحه بقصيدة من نظمه في «تاريخ ولادة الأمير الكبير شاه زاده نقوله الكسندروفيج (١) » مطلعها :

بعث الهنا نحو السرور رسولهْ يقري عليهِ سلامه ووصولهْ

وختامها وهو بيت التاريخ :

أدعو الاله مهنّئاً ومؤرّخاً للروسيا رغد بطلع نقولهْ

١٩١ ١١١ ١٢٠٤ ٣٣٧

١٨٤٣

ومبنى الكتاب على ألفاظ وجمل وأمثال ومكاتبات وقصص وأغانٍ عاميّة مع ترجمتها الى الفرنسية وبينها مكاتبات تاريخها سنة ١٢٥٧ هـ دارت بينه وبين من بمصر من أصدقآئه يفهم ممّا فيها أنّها كتبت عقب وصوله الى روسية لتعرّف احواله

---

(١) الظاهر أنه الامير نقولا بكر القيصر اسكندر الثاني ولد في حياة جدّه القيصر نقولا الأوّل ومات في حياة والده سنة ١٨٦٥ فخلفه في ولاية العهد أخوه اسكندر الثالث . وتاريخ مولده المذكور هنا من الفوائد التاريخية التي لم أعثر عليها في المعالم الفرنسية التي بيدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعد سفره ويستدلّ من ذلك على أنّه سافر قبيل هذه السنة أو في اوائلها . فمن هذه الرسائل رسالة كتب بها الى العلاّمة رفاعة بك يقول فيها في وصف ما شاهده بعد وصوله « وأنا مشغوف بكيفية معيشة الأوربيين وانبساطهم وحسن ادارتهم وترتيبهم وتربيتهم خصوصاً ريفهم وبيوته المحدقة بالبساتين والأنهار الى غير ذلك ممّا شاهدتهم قبلي بمدّة في باريز اذ بتربورغ لا تنقص عن باريز في ذلك بل تفضلها في اشياء كاتّساع الطرق . واما من قبل البرد فلم يضرّني جداً انما ألزمني ربط المنديل في العنق ولبس فروة اذا خرجت واما في البيت فالمداخن المتينة معدّة لادفاء الأوَض (١) وطالما أنشدت عند جلوسي بقرب النار :

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه في الشتا فليصطلِ

وتذكّرت قول الاعرابيّ في يوم بارد :

فان كنت يوماً مدخلي في جهنّم فني مثل هذا اليوم طابت جهنّم »انتهى .

ويفهم من كتاب اخر بعث به اليه متولّي شؤون بيته بعد سفره واسمه يوسف انّ هذا السفر كان بتوسّط عظيم من الافرنج بمصر اسمه (بكتي) ولعله كان الوكيل السياسيّ للدولة الروسية بمصر . وفي الكتاب فوائد تاريخية منثورة منها شيء عن حادثة الرديف وتجنيد اهل القاهرة مدّة العزيز محمّد عليّ ومنها ايراده منظومة أمين افندي الجندي التي نظمها عند مسير الجيش المصريّ لفتح الشام وكنّا نسمع في متناقل الاخبار ان هذا الجيش كان يتغنّى بها ولم نكن نعلم منها غير قوله في مطلعها :

هيّا بنا هيّا بنا للحرب نلقى ضدّنا

(خاتمته)

جاء في (ص ٤٢٠) من تاريخ الادب العربيّ للاستاذ Huart انه توفي سنة ١٨٧١ (٢) . وجاء في مجلة رعمسيس التي تصدر بالقاهرة (٦ : ٦٢٩) من مقالة

(١) جمع أوضة في العامية بمعنى الحجرة تحريف أوده التركية وتكتب عندهم أوطه .

(٢) تقع هذه السنة بين سنتي ١٢٨٧ و١٢٨٨ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عنوانها (فضل المستشرقين على العربية) ما نصّه : «وفي سنة ١٨٥٤ م أُنشئ في كلية بطرسبرج مكتب خصوصيّ لدرس العلوم الشرقية فدعي لتدريس العربية فيه المسيو نفروتسكي الذي وضع في اصول العربية كتاباً يرجع اليه علماء الروس حتى يومنا هذا. وكان يساعده في تدريس اللغة العامية الشيخ محمد الطنطاوي المتوفى سنة ١٨٧١ وله في اللهجة المصرية كتاب معروف» .

وذكر امين فكري باشا في رحلته الى مؤتمر استكهلم المسمّاة (بارشاد الالبّا الى محاسن اوربا) (ص٦٠٩ — ٦١٠) انه التقى في المؤتمر بالاستاذ يوسف كوتوال مدير المعارف بقازان وكان يبلغ نحو الثمانين من العمر وانه ائتلف بوالده العلاّمة عبدالله فكري باشا وتحابّا وكثيراً ما كانا يجتمعان لتجاذب الحديث قال : (وقد سأله ذات يوم عن الشيخ محمد عيّاد الطنطاوي من اعاظم علماء الازهر المتبحرين في علوم الادب صاحب التآليف العديدة والشعر الرقيق وكان توجه الى بلاد الروسية وأقام بها هل هو حيّ او ميّت وهل أعقب ذرّية او لم يعقب فأخبره الشيخ كوتوال كما قيدته وقت ذاك في ورقة محفوظة عندي ان الشيخ محمّداً كان بالمدرسة الكبرى وبديوان الخارجية بسان بطرسبورج معظّماً غاية التعظيم محترماً الى النهاية مرتّباً له معاش عظيم وكان له ولد وزوجة وانه مات في سنة ١٨٦٢ (١) على ما يتذكّر وماتت بعده زوجته وكانت من مصر علويّة وبعدها توفي ولده وكان اسمه أحمد على ما يظن وان الشيخ محمّداً الموما اليه دُفن في بطرسبورج حيث قبور المسلمين بها وقبره معلوم هناك وكذلك قبر زوجته وابنه» .

هذا كل ما وصلنا اليه نقلاً واستنباطاً ولا يسعنا الاّ الترحيب به وبكل نزر من خبره حتى نظفر بما يقنع الغلة ولا سيما في تحقيق سنة وفاته وهو ما نالجأ فيه الى اعضاء مجمعنا الكرام من علماء المشرقيات وفي يقيننا انهم فاعلون .

القاهرة احمد تيمور

(١) تقع بين سنتي ١٢٧٨ و١٢٧٩ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net